

الإمام الخميني والحكومة الإسلامية

المناسبة: إقامة مؤتمر "الإمام الخميني (ره) ونظرية الحكومة الإسلامية"

الزمان والمكان: 19 شوال 1420 هـ - ق طهران

الحضور: أعضاء الهيئة العلمية للمؤتمر

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل الذي شرعتم فيه أيها السادة عمل ثمين جداً، ويجب أن أتقدم بالشكر لسماعة الشيخ معرفة¹ الذي تكفل عناء التصدّي لرئاسة هذا المؤتمر، وأعطيه - بماله من شخصية علمية - وزناً خاصاً.

الحمد لله، أن معلم الفضل والكمال واضحة عليكم أيها السادة الحضور.
وأسأل الله أن تكون حصيلة هذا المؤتمر طيبة ومفيدة.

الحكومة الإسلامية في نظر الإمام الخميني

لقد كان اختيار عنوان "نظرية الحكومة الإسلامية" لهذا المؤتمر مهمًا وحساسًا في آن واحد؛ لأن بيت القصيد في عمل الإمام الخميني هو مسألة "الحكومة الإسلامية"؛ فلو كان قد أسقط الإمام عن هذه الثورة بكل خصائصها شعار إقامة الحكومة، أو اكتفى بمجموعة من الإصلاحات أو قام بأعمال على غرار ما حصل في حركة "عدالت خانه"² وتنظيمات المشروطة [الحركة الدستورية]³، لما كان لذلك العمل أهمية تعادل

¹ آية الله الشيخ محمد هادي معرفت.

² عدالت خانه، حركة قام بها الأحرار في إيران وأرغموا مظفر الدين شاه القاجاري (1854 - 1907م) خامس ملوك السلالة القاجارية، على إنشاء دار للعدالة. ثم تطورت الأمور لاحقاً إلى قيام الحركة الدستورية وإقرار الدستور عام 1907م

³ الحركة المشروطة في إيران التي تزعّمتها اثنان من كبار علماء الدين في إيران هما السيد محمد الطبطبائي، والسيد عبد الله البهبهاني. عملت الحركة على إقامة حكم ملكي دستوري مشروط ببرلمان، ونجحت في عام 1906م، في إجبار الشاه مظفر الدين على إعلان الدستور، والاحتفاظ بمكانة عليا تضمن للقىء الإشراف على قوانين المجلس. ولكن انقسام الحركة الدستورية إلى فريقين، يطالب أحدهما بحكم ديموقراطي مطلق، وآخر يطالب بحكم يلتزم بالشريعة الإسلامية، أدى إلى إعدام الشيخ فضل الله النوري أكبر دعاة «المشروطة المشروعة» في طهران على يد فريق «المشروطة المطلقة»، ما جعل حالة من التشكيك في الحركة الدستورية تسود في أوساط العلماء، فاتهموها بالعملية لبريطانيا. وقد حاولت الحركة الاعتماد على المرجعية الدينية في النجف الأشرف لتخذ موقعاً حاسماً ضد السلطة القاجارية التي كانت تعارض أهداف الحركة في إنشاء مجلس شورى، والحركة الدستورية، فكان على رأس أنصار المشروطة الشيخ كاظم الغرياني والشيخ حسن الخليلي والشيخ عبد الله المازندراني والشيخ محمد حسين الثنائي وغيرهم. وفي 24 جمادى الثانية 1327 هـ / 13 حزيران 1909م. حققت المشروطة انتصاراً ساحقاً بسقوط الشاه على أيدي أنصار المشروطة وخروج الروس من إيران.

عشر ما تحقق حالياً، ولما تمخّض عن ذلك سوى ذهاب تلك الأسرة ومجيء جناح أو تيار المتنبيين، بيّدَ أنَّ ذلك العمل كان شيئاً، وهذا العمل شيء آخر.

تكمِن أهمية عمل الإمام في أنه طرح قضية حاكمة الإسلام؛ فالحكومة الإسلامية لا تعني حكومة المسلمين، بل تعني سيادة الإسلام.

ولو كانت تعني حكومة المسلمين فقط لكان غاية ما تسعى إليه هو أن يكون على رأس الأمور شخص مسلم، وأن يكون سلوكه حسناً، ولا يسمح أحياناً بظهور الفسق والفجور في المجتمع، إلَّا أنَّ إدارة شؤون الحياة في البلاد لا تكون على أساس الإسلام، ويبقى عندي للأمزجة والأدوات والعادات والثقافات والفهم الخاطئ بمختلف أنواعه تأثير.

بيّدَ أنَّ ما يصون المجتمع الإسلامي هو الحكومة الإسلامية بمعنى حاكمة الإسلام؛ فكانت مهارة الإمام في طرحه لقضية حاكمة الإسلام.

ولاية الفقيه من واصحات الفقه الإسلامي

كما أنَّ دعامة الإمام الخميني لحاكمية الإسلام هي ولاية الفقيه التي هي ذات ركيزة راسخة ومتينة؛ فرغم تبادر آراء العلماء حول ضيق وسعة دائرة ولاية الفقيه، إلَّا أنَّ أصل النظرية من واصحات الفقه الإسلامي، وإذا لم يكن البعض قد طرحتها في الماضي، أو نظروا إليها بفتور، فذلك يُعزى إلى أنهم رأوا عدم جدوى طرح ما لا يمكن تحقيقه عملياً، وإلَّا فليس هناك من الفقهاء من يحيز سيادة حكم آخر غير الحكم الإسلامي، وهذا ما يمكن ملاحظته في مختلف أبواب الفقه، وهو من المسلمات.

والتعابير التي استخدمها المرحوم صاحب الجواهر⁴ حول ولاية الفقيه تدل على أنها تعتبر في رأيه أيضاً من الواضحات؛ فتعابيره، ليس في باب الولاية على الصغار

⁴ صاحب الجواهر (.. - 1266هـ) محمد حسن بن باقر بن عبد الرحيم بن محمد (الصغير) بن عبد الرحيم النجفي، صاحب الموسوعة الفقهية «جواهر الكلام». كان من أكابر فقهاء الإمامية، ونواة علماء عصره. ولد في النجف الأشرف. وتبحر في الفقه. وأكبَ على التأليف والتدريس. وسمت مكانته في الأوساط العلمية، وصار من يشار إليه بالرسوخ في العلم وسعة الاطلاع وبراعة البيان وجودة التقرير. ثم ألت إليه رئاسة الطائفة والمرجعية في التقليد في منتصف القرن الثالث عشر، وتفرد بالزعامة مع وفاة الفقهاء الكبار في عصره. وعلا صيته، وقصده رواد العلم من أماكن شتى. وصنف كتابه الشهير جواهر الكلام في شرح «شرائع الإسلام» للمحقق الحلي (مطبوع في 43 جزءاً)، وهو كتاب جامع لأمهات المسائل وفروعها، حاوِ لأقوال الفقهاء وأقوالهم مع ما فيه من بعد نظر وتحقيق، وقد أصبح مرجعاً للفقهاء على طول الزمن.

فحسب، بل حتى في باب الجهاد والأبواب الفقهية الأخرى، تدل على أنه ينظر إلى دائرة الولاية بتلك السعة كجزء من واصحات الفقه الإسلامي.

كما صرّح فقهاء آخرون كالمرحوم النراقي⁵ بهذه المسألة، غير أننا لسنا بصدد طرح رأيه حالياً، وإنما نصر حديثاً على أولئك الذين لم يعرضوا هذه المسألة في مباحثهم. والغرض من ذلك هو التأكيد على أنَّ ولاية الفقيه أساساً متينة، وقد طرح الإمام الخميني مشروعه بناءً على ذلك الأساس.

الحكومة الإسلامية تعني حاكمة الإسلام والدين

أرجو من السادة المتصدّين لهذا المؤتمر، وخاصة الشباب الأفضل ذوي الفكر الواقِد والفاعل للاتّفافات — وخاصة في ضوء النكتة التي سأشير إليها لا حقاً، وهي نكتة تجعل القضية أكثر حساسية ودقّة — إلى أنَّ مشروع الحكومة الإسلامية التي دعا إليها الإمام الخميني وتريدون أنتم تثبّتها وتذوّقونها وتبيّنها، لا تتحول عن غير وعيٍ وإرادة إلى حكومة غير إسلامية.

وهذه هي النكتة المطروحة في هذا التحدّي الفكري فيما بيننا وخصومنا على الصعيد العالمي.

إنَّ خصومنا لا يعارضون من يحمل اسم الإسلام ويحكم في مكان ما، وإنما المهم بالنسبة لهم هو أن يتولّ الدين إدارة شؤون المجتمع، ويطرح فكراً جديداً للعالم؛ ولهذا يجب عليكم الالتفاف إلى أنَّ الحكومة الإسلامية وولاية الفقيه التي أبدعها الإمام الخميني وطرحها أمام العالم هي تلك الحكومة الإسلامية التي تعني حاكمة الإسلام والدين والشريعة، وهذا المعنى يجب أن يفهم جيداً.

من الممكن أن يسعى فقهاؤنا وفضلاؤنا إلى تنقية الشريعة مما يوجد في فقهنا من نقاط ضعف ونواقص، فهذا بحث آخر، إلا أنَّ ما يجب طرحه — وهو ما يمثل رأي

⁵ النراقي (1185 – 1245هـ) أحمد بن محمد مهدي بن أبي ذر النراقي الكاشاني، أحد أجلاء الإمامية. كان فقيهاً مجتهداً، أصولياً، شاعراً بليغاً بالفارسية، مصنّفاً، جامعاً لأكثر العلوم. ولد في نراق (من قرى كاشان) درس على والده (المتوفى 1209هـ)، وانتفع به كثيراً. وارتحل إلى العراق سنة (1205هـ) لغرض زيارة العتبات المقدسة، ومواصلة الدراسة، فحضر في النجف على السيد محمد مهدي بحر العلوم الطباطبائي، وجعفر كاشف الغطاء، وفي كربلاء على السيد محمد مهدي الشيرستاني الحائرى. وعاد إلى كاشان، وزاول وظائفه الدينية، ثم انتهت إليه الرئاسة بعد وفاة والده في سنة (1209هـ) وصار من أجلة العلماء ومشاهير الفقهاء. وكان ذا همة عالية، ينهض بأعباء الفقراء والضعفاء ويسعد حاجاتهم. وصنف كتاباً ورسائل كثيرة، توفي في كاشان، وحمل جثمانه إلى النجف الأشرف، دُفِنَ مع والده إلى جانب الصحن المطهر لمرقد أمير المؤمنين (عليه السلام).

الإمام الخميني قطعاً — هو أن تملأ أجواء المجتمع بالشريعة والفقه والأحكام والعمل الإسلامي، ولم يقبل أي بديل عن ذلك تحت أية حالة كانت.

كنت ذات مرة أتحدث معه حول قضية مهمة تتعلق بولاية الفقيه وما شابه ذلك، وعرضت عليه أثناء الكلام بأنني قبل الثورة عندما كنت أبحث مع الأفضل والزملاء، كنت أرى بعضهم يقول: إن الإسلام لا يوجد فيه منهج خاص في باب الاقتصاد، وأي منهج يتکفل بتحقيق المثل الإسلامية كالعدالة مثلاً، فهو منهج إسلامي، بينما رأينا هو: أن الإسلام قد بين الخطوط ووضع منهاجاً وحدّد إطاراً للاقتصاد الإسلامي يجب السير في ضوئه، فقال الإمام: "هذا هو الصحيح".

وأنا طبعاً لا أريد الاستناد إلى هذا المطلب لإثبات صحة هذا الأمر، وإنما أريد الاستناد إلى أن رأيه كان هذا، وأنه لم يكن يرضى بما هو أدنى من ذلك.

وفي الموارد التي كانت تبحث فيها الأحكام الثانوية، كان يطرح هذا الرأي كحكم إسلامي وفقيهي، وبقي على هذا الحكم إلى النهاية.

وكان هذا هو مبناه الفقهي أيضاً في مسألة الغناء – الموسيقى – التي طرح فيها رأياً جديداً، طبعاً ما قاله في كتاب المكاسب يختلف عن هذا المطلب في بعض الجوانب، غير أنه طرح هذا الرأي على أساس المبني الفقهية دون أن يأخذ المصلحة وقبول الناس بنظر الاعتبار؛ فيجب تبيين رأي الإمام.

من المحتمل – طبعاً – أن يوجد من لا يوافق على هذا الرأي في خطوطه الكلية أو تفاصيله الجزئية، غير أن رأي الإمام يجب أن لا يُحرّف.

يجب عليكم أن تحرصوا على طرح رأي الإمام كما ورد في كلماته وكتبه وتوجيهاته وسلوكه، وهذه في رأيي مسؤولية تاريخية وأمانة في أعقاكم.

موقف مراكز القوة السياسية في العالم من الحكومة الإسلامية

النكتة الأخرى هي: أن أساس الحكومة الإسلامية جاء بديعاً في العالم، وجعل ميزة الثورة ميّرتها عن كافة الثورات المشابهة، وتم تثبيتها في الدستور كمسألة جديدة تماماً، ومعناه أن يكون على رأس السلطة شخص نعلم بأنه لا تصدر منه أية مخالفة، وإذا صدرت منه مخالفة فهو غير خليق بهذا المنصب.

وهذه نكتة في أساس الحكومة، والكثير من مشاكل الحكومات ناجمة عن عدم رعاية هذا الشرط.

طبعاً أثيرت ضجة حول هذا الموضوع، وقيل: إن هذه الفكرة قديمة ورجعية، في حين كانت هناك في عهد انتصار الثورة حكومات عديدة في العالم جاءت إلى السلطة

بانقلابات عسكرية؛ حيث يأتي ضابط بجزمه وبندينته ويستولي على السلطة، وقد قُبّلوا واعترف بهم رسمياً.

ولكنهم عارضوا الحكومة الإسلامية والإمام ورفضوا هذه الحركة العظيمة؛ وذلك لأنها طرحت نظرية جديدة في العالم قادرة على منافسة المعايير والثقافات السياسية التي كانت شائعة في العالم، وكانت لديها مقدرة تفوق مقدرة الماركسية والحكومة الشيوعية في بدء ظهورها.

طبعاً الشيوعية صعد نجها في ما بعد على أثر ما قامت به من دعاية وما قدّمته من أعمال وما اتصفت به من جذبية.

لكن لا يشك في أن مقدرة الحكومة الإسلامية كانت في بداية الأمر تفوق مقدرة الشيوعية، وقد شعرت جميع الدول التي يتواجد فيها مسلمون بهويتها وشخصيتها وأظهرت رغبتها نحوها.

لابد وأنكم أيها السادة على بيّنة من أن أهم ما تعنى به مراكز القوة السياسية في العالم على المدى الطويل هي السلطة الثقافية.

من المحتمل طبعاً أن لا تكون الثقافة هي الغاية الأساسية، لكن أهم ما يوفر لمراكز السلطة العالمية المقدرة الحقيقة والمضمونة على المدى الطويل هي السلطة الثقافية؛ وذلك لأنها إذا هيمنت على بلد ما فإنها ستكون مطمئنة البال، وتحظى مسألة الثقافة السياسية بالأهمية الأولى في نظرهم من بين المسائل الثقافية؛ وانطلاقاً من هذه الرؤية نجد لهم يعبرون أهمية كبيرة للترويج لمبدأ الليبرالية والديمقراطية الغربية.

الحذر من التأثير بإيحاءات الثقافة الأجنبية

أود أن ألفت أنظاركم إلى أن الثورة جاءت بكلام جيد وهو نظرية الحكومة الإسلامية، إلا أن هذه النظرية لا تبقى جديدة على الدوام؛ إذ من الممكن أن تعتبرها بعض النواصص في البداية، أو قد تتعرض لاحقاً لسوء الفهم وتتحقق بها بعض النواصص، وهذا ما يستدعي أن تعمل أفكار سليمة وقوية بشكل دائم على تكاملها في اتجاهها الصحيح، وسد نواصصها دون الإضرار بأصولها أو نفي أساس وجودها.

وهذا العمل يتطلب التجديد، إلا أن ما أشرت إليه سابقاً - ويطلب منكم مضاunganة الدقة في عملكم - هو وجوب الالتفات إلى أن عملية التجديد يجب أن لا تكون متاثرة بإيحاءات الثقافة الأجنبية، وهي تلك الثقافة الساعية وراء التسلط والهيمنة.

فالليوم تتفق الأموال من أجل نشر الثقافة الغربية في العالم كله، وتستخدم أساليب الكذب والدعایات والأفلام من أجل عرض أمور لا حقيقة لها أو من أجل تضخيمها

وتجميّلها وتلميّعها وإظهارها أمام العالم وكأنّها أمور حقيقة، في سبيل استقطاب الأفكار إليها؛ وهذا ما يتطلّب منّا عدم التأثّر بهذه الإيحاءات.

كانت كلمة "الديمقراطية" متداولة على الألسن في بداية الثورة، وكان يُقال أحياناً قبل عودة الإمام "الجمهوريّة الديمقراطيّة الإسلاميّة".

فجاءنا المرحوم الحاج أحمد الخميني بـتوصية من الإمام وهي أنّ الإمام يقول: أن لا تستخدموا كلمة الديمقراطية، وأنّ عنوان "الجمهوريّة الإسلاميّة" وحده كافياً.

ولعلّ البعض قد أثارته الدهشة بأنّ كلمة الديمقراطية لا تستلزم مثل هذه الحساسية! إلاّ أنّ تلك الحساسية كانت صحيحة وصائبة تماماً، وذلك لأنّ المصطلح الأجنبي يحمل معه بعداً ثقافياً، ويعكس نوعاً من الشعور الذي يتّصل لدى الإنسان تدريجاً.

يجب عدم أخذ عيّنات من الثقافة الغربية، والديمقراطية الغربية، والليبرالية، في تبيين مباني الحكومة الإسلاميّة.

قد توجّد في ذات وبين ثايا ولایة الفقيه أمور من هذا القبيل، ويجب علينا في مثل هذه الحالة كشفها وتقديحها، ولكن يجب أن لا يستوحى ولا يفرض عليها شيء من خارجها.

للننظر إلى سيرة الخلافة الإسلاميّة، والحكومة الإسلاميّة في صدر الإسلام، وفي عهد الرسول (ص) وأمير المؤمنين (ع)، ونعمل على أساس الجوانب المقبولة منها ونركّز عليها وندخل عليها ما تحتاج إليه من تدقّيق يوماً بعد آخر.

ومن حسن الحظ أنّ شريحة جديدة من الشباب الأفضل ظهرتاليوم في قم، وهي تفكّر في هذه المسائل، ولكن يجب عليها الحذر من الآفات.

يجب أن لا يتلاشى الصفاء والنقاء الذي يطبع هذه الفكرة الجديدة، ويجب أن لا نخدع من خلال تصوّرنا أننا نحن الذين نفكّر، في حين أنّ ما يدور في أذهاننا لا يمت إلينا بصلة، وإنما هو فكر أجنبي يختلّ في أذهاننا وقلوبنا ومعلوماتنا ويفرز شيئاً إلى الخارج! علينا بالحذر من هذه الآفة.

يجب الاعتماد على المباني والمصادر الإسلاميّة والعمل على تكميل هذه النظرية من أجل السمو بها، وتبنيها بمختلف الأساليب.

تُلقىاليوم شبّهات يمكن الرد عليها بسهولة في أوساط طلبة العلوم الدينية، ولكن بما أنها تثار بأساليب وباصطلاحات الأوساط الثقافية؛ لهذا السبب يظنّها البعض شبّهات مهمة قد تترك تأثيراً على عقول بعض الناس، فيجب الرد عليها بأسلوب ومنطق قوي وبمعنوّيات عالية؛ إذ إنّ للمعنوّيات العالية أهميّة كبرى.

ينبغي عدم الشعور بضعف أمام هذه الهجمات وهذه الأقوال.

الأمة الإسلامية وحاجتها إلى القيادة

إننا لازلنا في أول الطريق، وأمامنا عمل كثير، وفي انتظارنا خطوات كبيرة وأعمال جبارة. فالأمة الإسلامية بحاجة اليوم إلى قيادة؛ وهذه المهمة تقع على عاتق هذا الشعب بصفته شهيداً ومثالاً للجميع «لتكونوا شهداء على الناس»⁶.

الشهيد معناه: الأنموذج والأسوة، ولابد أن يكون هناك شعب نموذجي وأسوة لتقديبه الشعوب.

لقد بدلت قضية الحرب أحوال الكثرين؛ فإصغاء هؤلاء الشباب والصمود في الحرب وعدم الرهبة أمام تهديدات الاستكبار وأمريكا، ليس بالأمر الهين.

إن نظام الجمهورية الإسلامية يقف اليوم بصلابة أمام أعتى قوة مادية في العالم، ليس من منطلق الرغبة في الحرب أو التحدي بل اعتماداً على نقاط قوته، وهي الإيمان والعقيدة ومسايرة الشعب للحكومة، رغم أن الأعداء يريدون لنا الاعتماد على نقطة ضعيفة وهي القوة المادية والسلاح.

إننا نعتمد على نقطة القوة الأساسية في نظام الجمهورية الإسلامية، ولسنا متذمّلين في هذا الميدان، بل استطعنا أن نقاوم، وسنستطيع بعد ذلك أن نقاوم أيضاً بعون الله.

وفي مثل هذه الحالة سيكون شعبنا مثالاً لكل الشعوب، وسيرى المنفرّجون هذه المسيرة، وسيكون هناك أشخاص يتجرّأون ويضعون أنفاسهم على هذا الطريق، وقد لا يجرؤ آخرون ولا يضعون أنفاسهم على هذا الطريق؛ ولكن المسألة المهمة هي أن الطريق مرسوم وواضح.

وفي ضوء هذه الرؤية المستقبلية والمطامح التاريخية والعالمية يتضح أنه مازالت أمامنا مهام كبيرة، وهناك في انتظار نظامنا وثورتنا الإسلامية أعمال جبارة، وأنتم الذين يجب أن تنهضوا ببعء هذه الأعمال.

عليكم — أيها الشباب وأيتها الجيل الجديد من العلماء — أن تستندوا إلى الكتاب والسنة والفكر الإسلامي الصحيح واستقلال المعنيات وعلو الهمة، ومن خلال عدم التدنّس بأشياء تافهة وحقيرة وبمسائل مادية وسياسية وعلاقات شخصية — وهي مسائل غلّت وللأسف أيدي وأرجل بعض الأشخاص — أن لا تتورّطوا في هذه المسائل؛ فالمثالكم يستطيعون أن يكونوا مفیدين جداً للمستقبل. ومسؤولية هذه الأعباء تقع على عاتقكم.

⁶ سورة البقرة، الآية: 143

نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى لَكُمُ التَّوْفِيقَ لِتَكُونُوا مَشْمُولِينَ بِأَدْعِيَةِ بَقِيَّةِ اللَّهِ (أَرْوَاحُنَا فِدَاهُ)، وَأَنْ
تَحَصَّلُوا عَلَى أَكْبَرِ نَصْيَبٍ مِمْكَنٍ مِنَ الْمُجَاهَدَةِ عَلَى هَذَا السَّبِيلِ، وَسَنَرِي النَّتَائِجُ الإِيجَابِيَّةُ
لِأَعْمَالِكُمْ.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ